

« برتولد بريخت: قصائد

● ترجمها عن الألمانية: رياض مصاروة

1. أغنية عن العدو الطبعي:

عندما كنت صغيراً، ذهبت إلى المدرسة
وتعلمت ما هو لي، وما هو لك
ولما انتهت الموعظة
تهيأ لي أن ذلك ليس كل شيء
الآخرون أفطروا في الصباح
وأنا لم أحصل على شيء
وهكذا تعلمت كيف ولماذا
متفسخ هو هذا العالم
وذلك يبقى بيننا
لأن المطر يسقط من فوق إلى تحت.

2

قالوا لي إذا بقيت مستقيماً
سيصبح حالي مثل حالهم
ومع ذلك فكرت:
إذا أنا أصبحت نعتهم
لن أصبح أبداً جزّاراً.
ورأيت واحداً منا
كيف سقط في حفرتهم
وحدث له ما حدث لي ولك.
عندها تعجب
ولكنني أنا لم أتعجب
وتوصلت قبلهم
إلى أن المطر يسقط فعلاً إلى تحت.
ولا يسقط إلى فوق.

3

عندها سمعت الطبول تفرع
والكل يتكلم:

علينا بدء الحرب
من أجل محل تحت الشمس،
الأصوات المبحوحة وعدت
بسماء زرقاء صافية،
الأفواه الرجعية المقطومة صاحت:
شدوا الأيدي المرتخية!
ونحن صدقنا مجيء الساعة
فيها نملك كل شيء
لكن المطر سقط ثانية إلى تحت،
وأكلنا العشب أربع سنوات.

4

وقررنا ذات مرة
إعلان جمهورية
فيها يتساوى الكل
نحياً كان أم سميناً
ومن كان من الجوع تعباً
لم يأمل أكثر من اليوم
ومن شبع اليوم
كان مثلهم متفائلاً
عندها قلت: شيء ما غير معقول
القلق يراودني
ليس من المعقول
أن يسقط المطر إلى فوق

5

وزعوا علينا أوراق التصويت
وسلمناهم أسلحتنا
مقابلها أعطونا الوعد
ونحن بالمقابل أعطيناهم البارود
وسمعنا: العارفون منهم سيساعدون
علينا أن نذهب إلى العمل

وهم سيتدبرون الأمور
وعندها قبلت بالحكم
وبقيت ساكتاً كما يطلبون.
وفكرت: ذلك بسبب المطر
الذي يريد أن يسقط إلى فوق.

6

وبعد ذلك مباشرة
سمعتهم يقولون:
كل شيء كالمطلوب
إذا تحملنا البؤس الصغير
فسيهدوننا الكبير
وابتلعنا (برونيغ) الروحي
كي لا يجيء بابل
وابتلعنا (اليونكر) بابل
لأن دور (شلاوخر) قد جاء
الروحي أورث (اليونكر)
واليونكر أورث الجنرال
والمطر نزل إلى تحت
ونزل بكميات.

7

عندها هرعنا بأوراق التصويت
انتهزوا الفرصة وأغلقوا الورشات
ولما نمنا في مكاتب العمل
ناموا هم منهللين
وسمعنا حكماً كهذا:
الصمت، الصمت، يجب الانتظار!
بعد الأزمات الكبيرة يأتي الفرج.
وقلت لزملائي:
هكذا يتكلم العدو الطبعي!
عندما يتكلم عن الأزمنة الطيبة
فهو يعني أزمته،
المطر لا يستطيع السقوط إلى فوق
لأنه يريد مصلحتنا!
وذلك ما يستطيع: بإمكانه التوقف
ولكن عند شروق الشمس.

8

في أحد الأيام رأيتهم سائرين
وراء أعلام جديدة

الكثير منا قال:

لا يوجد عدو طبعي بعد.
عندها رأيت في مقدمتهم
وجوهاً عرفتتها من قبل
وسمعت أصواتاً تصرخ
مثل قواد الجيش
وبهدوء سقط المطر ليل نهار
بين الأعلام والأعياد
والكل أحس به
كيف على الطريق سال.

9

تدربوا على إطلاق الرصاص باجتهاد
وتكلموا عالياً عن الأعداء
وأشاروا بضراوة إلى الحدود
وبذلك قصدنا نحن
لأننا وهم أعداء بعضنا البعض
وفي الحرب: المنتصر واحد لا اثنان
هم يعيشون على حسابنا
وسيموتون إذا قوينا
ولذلك لا تتعجبوا
إذا انقضوا علينا
متلماً ينقض المطر على الأرض.

10

ومن منا مات جوعاً
قد سقط في المعركة
ومن منا قد مات وانقضى
فقد قتل بأيديهم
ومن لم يرض عن جوعه
سجنه جندهم
ومن منا كسر فكه
فلأنه سأل عن خبزه
والذي وعدوه بالخبز
يصطادونه على الطريق
والذي تفوه بالحقيقة
صنعوا له النعش
والذي آمن أنهم أصحابه
يتوقع سقوط المطر إلى فوق.

11

فنحن أعداء طبقيون

مهما المرء قال

من لم يتحمل النضال

قد تحمل الجوع.

يا قارع الطبل! نحن أعداء طبقيون

طلبك لا يخفي الحقائق!

يا صاحب المصنع، يا جنرال، يا يونكر!

أعداؤنا أنتم!

خسارة على كل حديث،

لا شيء سيساعد

المطر لا يسقط إلى فوق

وذلك ليس بإرادته.

هذا ما حصلت عليه من شاطئ فيسيلييا.

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من أوصلو ما وراء السوند؟

من أوصلو حصلت على فروة لياقتها

على أمل أن تعجبها الفروة على ياقتها

هذا ما حصلت عليه من أوصلو، ما وراء السوند.

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من روتردام الثرية؟

من روتردام حصلت على قبعة

قبعة هولندية تليق بها

هذا ما حصلت عليه من روتردام الثرية.

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من بروكسل، من البلاد البلجيكية؟

من بروكسل حصلت على دبوس شعر نادر

أوه ما أروع أن يمتلك المرء دبائيس الشعر النادرة

هذا ما حصلت عليه من البلاد البلجيكية.

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من مدينة الأضواء باريس؟

من باريس حصلت على ثوب حريري

لباهة جارتها بالثوب الحريري

هذا ما حصلت عليه من مدينة الأضواء باريس.

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من طرابلس الليبية؟

من طرابلس حصلت على عقد متواضع

عقد نحاسي ذي خرز سحري

هذا ما حصلت عليه من طرابلس الليبية.

وعلى ماذا حصلت زوجة الجندي

من بلاد روسيا البعيدة؟

من روسيا حصلت على شال الترمل

لعرس الموت، شال ترمل

هذا ما حصلت عليه من البلاد الروسية؟

12

فليصنع (دهانك) ما شاء

ألوانه لا تمحو التفسخ

واحد باق، وآخر فان

أو أنا أو أنت

وكل ما سأتعلمه

هو الألف باء:

لا شيء مشترك بيننا

بيني وبين عدوي الطبعي

والكلمة المشتركة بيننا

سوف لا تخلق

المطر يسقط من فوق إلى تحت

وأنت عدوي الطبعي.

2. على ماذا حصلت زوجة الجندي؟

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من العاصمة براغ؟

من براغ حصلت على حذاء عالي الكعب

على تحية، وبالإضافة حذاء عالي الكعب

على ماذا حصلت زوجة الجندي

من وارسو على شاطئ فيسيلييا؟

من وارسو حصلت على قميص نوم

ملون وغريب، قميص بولندي

3. جيني - لصة البحر

أيها الأسياد! اليوم ترونني أغسل الكؤوس
وأرتب الفراش لكل شخص
يعطونني قرشاً، وأقدم شكري في الحال
يشاهدون ملابسي الرثة، وهذا الفندق البالي
وهم لا يعرفون مع من يتكلمون
لكن في مساء ما ستصدر صرخة في المينا
والمرء يسأل: ما، هذا الصراخ؟
سيشاهدونني مبتسمة بين كؤوسي
والمرء يسأل: لماذا تبتسم هناك؟
وسفينة لها ثمانية أشرعة
على متنها خمسون مدفعاً
سترسو على الرصيف

أيها الأسياد! ضحككم سيتوقف فجأة
لأن الجدران ستنهيار
والمدينة ستستوي مع الأرض
ذلك الفندق البالي (فقط)، سيسلم من أي ضربة
المرء سيسأل: من هو ذلك الفريد الذي يسكن في الفندق؟
في هذه الليلة حول الفندق سيعلو الصراخ
المرء سيسأل: لماذا سلم الفندق بالذات؟
سيراني البعض خارجة من باب الفندق قبل الصباح
سيقول المرء: تلك كانت في الفندق هناك
سفينة لها ثمانية أشرعة
على متنها خمسون مدفعاً
سترسو على الرصيف

وسيأتي مائة من الرجال عند الظهر
سيتسللون عبر الظلال
سيمسك بهم واحداً واحداً عند الباب
سيصفدونهم بالأغلال
عند الظهر يسود الصمت في الميناء
عندما يسأل أحدهم، من المفروض أن يموت
عندئذ سيسمعونني أقول: كلهم
وعندما يسقط الرأس سأقول: (هوبالا)...
وسفينة لها ثمانية أشرعة
على متنها خمسون مدفعاً
سترسو على الرصيف

4. الحرب القادمة ليست الأخيرة

قبلها كانت حروب كثيرة
عندما انتهت الحرب
كان هناك مهزومون ومنتصرون
عند المهزومين، مات الشعب الفقير جوعاً
وعند المنتصرين
مات الشعب الفقير أيضاً جوعاً.

كان يا ما كان
رجل بدأ الشرب
في الثامنة عشرة من عمره
لهذا السبب نزل إلى الحضيض
ومات في الثمانين من عمره

كان يا ما كان
طفل مات بسرعة
عمره كان عاماً
لم يشرب يوماً في حياته
هذا واضح
ومات وعمره عام واحد
من كل ذلك يتضح للمرء
كم هو قليل خطر الخمر

وقف على الحائط وبيده طبشورة:
هم يريدون الحرب!
من كتب ذلك
قد سقط.

5. الاستعراض الألماني:

عندما سمعنا في السنة الخامسة
ذلك الذي ادعى أن الله أرسله
كان قد أنهى تحضيرات حربه
صقل مدرعاته ومدافعه وسفنه الحربية
أعداد هائلة من الطائرات مخزنة في ترسانته
بإشارة منه تغطي السماء بالسواد.
عندها قررنا أن ننظر حولنا:
من أي بشر مجبول هذا الشعب؟
وأي أفكار يحملون عندما يناديهم تحت رايتهم؟
ورعينا الاستعراض.

في مدن الإسفلت أشعر وكأنني في بيتي
منذ البداية مجهزة بكل أسرار الموت:
بالصحف والتنباك، والنبيد
متشائم ومتفائل وبالنهاية سعيد.

3

لطيف مع الناس، أجلس وعلى رأسي
قبة عوجاء حسب رغبتهم
أنا أقول: هم حيوانات مع رائحة فريدة
وأنا أقول: لا يهم، وأنا أيضاً.

4

أجلس على كرسي هزاز قبل الظهر
وحولي مجموعة من النساء
أراقبهن خال من الهموم، وأقول لهن:
تجدن إنساناً لا تستطعن الاتكال عليه.

5

عند المساء أجمع الرجال من حولي
ونتوجه إلى بعض ب: «جنتلمان»
يجلسون وأرجلهم على طاولتي
يقولون: ستتحسن حالتنا، ولا أسأل متى.

6

عند الصباح في الفجر الرمادي يغضب شجر التنوب
ويعلو صراخ الحشرات والطيور
وعلى مدار الساعة أشرب كأس في المدينة
أرمي عقاب السيارة وأنام قلقلًا.

7

نحن الجنس الضعيف، جلسنا في بيوت
اعتقدنا أنها لا تهدم
(هكذا بنينا البيوت العالية في (مانهاتن)،
والأنتينات الرفيعة التي تتحدث مع الأطلسي)

يأتون زرافات زرافات ممتنعين وملونين
على رؤوسهم أعلام عليها الصليب المعقوف
له كلاب كبير لأجل الرجل الفقير
والذين لا يمشون في المسيرة
يركعون على أربعة في حربه الكبيرة
لا يسمعون لا زفرة ولا شكوى
لا تدمر ولا أسئلة
جاء الموسيقى العسكرية الصاخبة
يأتون مع نسايمهم وأطفالهم
هاربين من خمسة فصول شتوية
لن يروا خمسة أخرى
يحملون على ظهورهم المرضى والعجزة
ويدعوننا أن نرعى استعراض جيشه الهائل.

6. أخي كان طياراً

أخي كان طياراً
في أحد الأيام وصلته رسالة
حزم أمتعته
وبدأ رحلته إلى الجنوب

أخي محتل
شعبنا يعاني من نقص المكان
وحلمنا كان وما يزال
أن نحصل على الأرض والمساحات

المساحة التي احتلها أخي
تقع في (جودار ماسيف)
طولها متر وثمانون
وعمقها متر وخمسون.

7. عن ب.ب. الفقير

1

أنا برتولد بريخت، أتيت من الغابات السوداء
أمي حملتني إلى داخل المدن
عندما كنت في رحمها، وبرد الغابات
سيلاحقني حتى الموت.

2

دون السؤال عن الثمن
ولا أحد يأتي متهافتاً من العطش ليشتريه
لا أحد يشتري ولا أحد يشرب
(اشتروا الماء أيها الكلاب)

9. لا أحتاج شاهداً على قبري

لا أحتاج شاهداً على قبري.. لكن،
إذا أنتم احتجتموه،
أود أن يكتب عليه:
لقد قدم اقتراحات تبينها.
عنوان كهذا يكرمنا جميعاً.



8
من هذه المدن ستبقى: الريح التي هبت من خلالها
البيت يسعد الآكل: ويفرغه
نحن نعلم أننا زائلون
ومن بعدنا سيأتي: لا شيء ذا أهمية.

9
عند الهزات الأرضية التي ستأتي
أمل أن لا أدع الفرجينيا تذهب بوساطة المראה
أنا برتولد بريخت غارق في مدن الإسفلت
أتيت من الغابات السوداء من رحم أمي في وقت مبكر.

8. أغنية بانع الماء تحت المطر

عندي ماء للبيع
واقف الآن تحت المطر
قطعت المسافات الطويلة
لأبيع الماء القليل الذي عندي
الآن أصرخ متألماً: اشتروا الماء!
لا أحد يأتي متهافتاً موتاً من العطش ليشتريه
لا أحد يدفع، ولا أحد يشرب.
(اشتروا الماء أيها الكلاب)
كان باستطاعتي أن أرتق الثقب
حلمت في شبابي لو ينقطع المطر سبع سنوات
قست الماء آنذاك بالقطرات
آه كيف صرخوا: أعطنا ماء!
وكل من أمسك بدلوي فحصت أنفه
إن كان يروقتني
(في تلك اللحظة لهثت الكلاب)

أي نعم... الآن تلتهمون راضين
ماء العشب من درر الغيوم
منبطحين على ظهوركم